

التي يمكن أن تتهمها إسرائيل بـ«معادة السامية». وقد أصيبت الدعاية الإسرائيلية نتيجة هذا الوضع الجديد بحالة هستيرية جامحة. ولم يعد أمام إسرائيل من أمل سوى محاولتها الحديثة عبر وصم تصريحات الرئيس الإيراني محمود أحمدني نجاد المعادية للصهيونية بأنها «لإسامية»، وبأنها تدعو إلى «إبادة اليهود الجماعية»، عليها تستطيع أن تغطي استعمارها الاستيطاني المستمر للضفة الغربية والقدس الشرقية. وفي حال لم تكفل هذه المحاولة بالنجاح، استدعت السفارة الإسرائيلية في العاصمة الإيرلندية دبلن مؤخراً قوى يسوع المسيح الخارقة للطبيعة للمساعدة في التستر على الاستعمار الصهيوني المتواصل. ففي رسالة تهنئة بمناسبة عيد الميلاد بعثتها السفارة للشعب الإيرلندي، عبر صفحتها الرسمية على الفيسبوك، أعلنت السفارة: لو أنّ يسوع وأمه مريم كانا على قيد الحياة اليوم لقام الفلسطينيون بإعدامهما «شنعاً» في بيت لحم، حيث سيكونان «يهوديان بدون أمن». ومن هنا تبرز حاجة إسرائيل إلى مواصلة استعمار الأراضي الفلسطينية كي تضمن أمن المستعمرين اليهود.

وبالفعل، أكد بنيامين نتانياهو، في كلمته أمام الأمم المتحدة عام 2011، أنّ المقاومة الفلسطينية للاستيطان الاستعماري اليهودي في الضفة الغربية والقدس الشرقية هي في حد ذاتها معاداة للإسامية. وقارن نتانياهو قوانين السلطة الفلسطينية، التي تجرم التعاون مع الاستيطان اليهودي بقوانين نورمبرغ النازية، قائلاً: «هناك قوانين اليوم في رام الله تجعل من بيع الأراضي لليهود جريمة يعاقب عليها بالإعدام. هذه عنصرية. وهذا يذكرنا بقوانين نعرفها جيداً». يبدو أنّ نتانياهو قد نسي أنّ الصهاينة وليس الفلسطينيون، هم الذين دمروا النازيين عام 1935، عندما أيدوا قوانين نورمبرغ العنصرية.

لقد استوعب الفلسطينيون جيداً هذه الحجج وما انفكوا يصرون على أنّ نضالهم يستهدف الاستعمار اليهودي لأراضيهم وليس اليهود كيهود. أما تأكيد خالد مشعل، عند وصوله إلى غزة قبل أسابيع، في خطابه: «نحن لا نقاتل اليهود لأنهم يهود إنما نقاتل الصهاينة المحتلين وسنقاتل كل من يحتل أرضنا، نقاتل من يقاتلنا ويعتدي علينا ويحاصرنا ويعتدي على مقدساتنا»، فقد أساءت جريدة «الأوبزرفر» البريطانية ترجمته لتجعله: «نحن لا نقاتل اليهود لأنهم يهود. نحن نقاتل الصهاينة لأنهم غزاة وسوف نستمر في قتل أي شخص يأخذ أرضنا ومقدساتنا». ومع أنّ جريدة «الأوبزرفر» نشرت في وقت لاحق تصحيحاً للترجمة نتيجة العمل الدؤوب لعلي أبو نعمة الذي فضح تلاعبها بالترجمة، إلا أنّ ترجمتها الخزفة الأولى كانت متماشية مع الدعاية الصهيونية.

لا تزال استراتيجية هرتزك هي ذاتها استراتيجية الصهيونية والاستراتيجية دولة إسرائيل. فبينما لم يعد للدول الراعية للإسامية من وجود، تصرّ إسرائيل على اختلاقها واستحضارها من جديد، لأنّ هذا هو خط دفاعها الرئيس ضد الانتقادات الدولية لاستعمارها المستمر لفلسطين. وفي حين أنّ الأعضاء الأربعة الدائمين في مجلس الأمن الدولي وجّهوا اللوم لإسرائيل بعد أسبوعين على خطتها لتوسيع المستوطنات الاستعمارية في الضفة الغربية والقدس الشرقية مرة أخرى، إلا أنّ الولايات المتحدة تستخدم حق النقض ضد أي قرار مقترح في مجلس الأمن الدولي لإدانة هذه الأنشطة الاستعمارية. وإن حدث ذلك، فسوف نسمع على الفور موال إسرائيل المعهود والجوقة المساندة لإسرائيل بإدانة مجلس الأمن بـ«معادة السامية» مرة أخرى.

لقد أدى انتهاء مفعول هذه الاستراتيجية، حيث لم تعد تخيف الجهات الدولية الفاعلة، إلى حالة من الذعر في الدوائر الصهيونية. وباتت إسرائيل والصهيونية تفهمان جيداً اليوم بأنّ العالم، بما فيه الولايات المتحدة (باستثناء باراك أوباما)، عندما يسمع تعبير «معادة السامية» كحجة للدفاع عن إسرائيل، يفهم على الفور أنها تحتيك لصرف الانتظار وإلهاء العالم عن الاستعمار الاستيطاني اليهودي الإسرائيلي، وعن المستوطنات على الأراضي الفلسطينية.

\* أستاذ السياسة والفكر العربي الحديث في جامعة كولومبيا في نيويورك

إنما تقع تحت طائلة معاداة السامية. كما راحت إسرائيل تؤكد أنّ أيّ كلام عن استعمار الأراضي الفلسطينية واستيطانها ليس سوى محاولة لإلهاء العالم عن معاناة اليهود من اللاسامية التي تستهدفهم دون توقف.

وفي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، التي شهدت نهاية الدول الراعية للإسامية، شرع الصهاينة بمهاجمة اليهود في عدد من البلدان واستحضار شبح العداة للإسامية في الدول التي تعارض الصهيونية. ففي العراق، قام الموساد الإسرائيلي بزرع القنابل في المعابد اليهودية والمكتبات والمقاهي في بداية الخمسينيات، التي قتلت وجرحت يهوداً عراقيين وأثارت بينهم حالة من الفزع، والشعور بأنهم مستهدفون من قبل المسلمين والمسيحيين العراقيين. تلا ذلك تعاون إسرائيل مع النظام العراقي القائم آنذاك تحت السيطرة البريطانية لتهجير اليهود العراقيين إلى إسرائيل. وعندما رفض يهود مصر الذهاب إلى إسرائيل، كلف الموساد جواسيس مصريين يهوداً بزرع القنابل في دور السينما المصرية، ومحطات القطر، ومكاتب البريد معرضة وضع الطائفة اليهودية للخطر. وشنت إسرائيل حرباً إعلامية على السلطات

خلال جنازة  
الطاحم  
يعقوب إبراهيم  
فريدمان في تل  
أبيب أول من  
أمس (نير الياس  
- روبرتز)

## وقعت الصهيونية اتفاقاً، النقل «هعبره» مع النازيين، وكسرت هن خلال المقاطعة الدولية للنظام النازي

## لا تزال استراتيجية هرتزك هي ذاتها استراتيجية الصهيونية واستراتيجية دولة إسرائيل

المصرية بعدما كشفت الأخيرة الخلية الإرهابية وتفصيل عملياتها التي عرفت باسم «فضيحة لافون»، واعتقلت مرتكبيها من اليهود المصريين وحاكمتهم. ونتيجة ذلك، وصفت الحملة الدعائية الإسرائيلية جمال عبد الناصر بأنه «هتلر على النيل».

أما في الاتحاد السوفياتي ما بعد ستالين، والذي كان على النقيض من الحقبة الستالينية، مناوئاً لإسرائيل، حيث لم يكن مسموحاً لجميع المواطنين السوفيات بالهجرة، أصرت حملة دعائية إسرائيلية وأميركية ضخمة في سياق الحرب الباردة على أنّ السوفيات كانوا معادين للإسامية. وقام الأميركيون والإسرائيليون بالترتيب لمنح اليهود السوفيات امتيازات خاصة غير متاحة للمواطنين السوفيات من غير اليهود عبر إجبار الحكومة السوفياتية على منحهم تأشيرات هجرة. إلا أنّ هؤلاء اليهود السوفيات الذين هاجروا (والذين أرادوا الهجرة لأسباب اقتصادية) قد أثروا التوجه إلى الولايات المتحدة مما أثار حنق إسرائيل، وأجبرها في وقت لاحق على التعاون مع الديكتاتور الروماني نيكولاي تشاوشيسكو لإعادة توجيههم إلى إسرائيل قسراً. وقد حاولت إسرائيل بالفعل، لاحقاً، تمرير تشريعات في الولايات المتحدة لمنع هجرتهم إليها، حيث أغلقت الأخيرة حدودها في وجوههم بعيد سقوط الاتحاد السوفياتي، وهو ما أجبر العديد من اليهود السوفيات (تبيّن في ما بعد أنّ معظمهم من غير اليهود الذين تظاهروا بأنهم يهود) على التوجه إلى إسرائيل كلاجئين اقتصاديين في التسعينيات.

### عالم بعد انهيار الاتحاد السوفياتي

خيّم على إسرائيل والصهيونية حزن عميق لوفاة الأنظمة المعادية للإسامية القائمة والأنظمة التي يمكن أن تلعب هذا الدور جزافاً نتيجة الادعاءات الصهيونية الكاذبة، إذ إن هذه الأنظمة وفرت لهما قدرة دعائية كبيرة لتبرير مشروعها الاستعماري. لكن الحجج الصهيونية بعد سقوط الاتحاد السوفياتي نفدت، كما «نفقت» الأنظمة



للإستعمار، راحت الصهيونية تطلق اسم «حرب الاستقلال» على حربها الإرهابية ضد بريطانيا. مع بدء الصهاينة، في ذلك الحين، بإعادة طرح مشروعهم الاستعماري على أنه «معاد للإستعمار» ليواكب مواصلة استعمارهم واستيطانهم الأرض الفلسطينية، فقد تنبهوا لإمكان الاستفادة من استنكار اللاسامية حديث العهد في الرأي العام الأوروبي في مواجهة المقاومة التي خاضها الشعب الفلسطيني ضد الإستعمار اليهودي سنة بعد سنة وعقدت بعد عقد، من خلال وصمه باللاسامية، وشرعت إسرائيل منذ تلك اللحظة بمواجهة أي مطالبة بإنهاء الإستعمار الصهيوني بالزعم بأنها مطالبة لإسامية. وقررت إسرائيل بعد ذلك أنه إن لم يعد يتبقى دول ترعى اللاسامية، فيجب استحضارها، وإن اختلفت الاعتداءات على اليهود لكونهم يهوداً فيجب تنظيمها من جديد، وكلما أمكن استشفاف موقف معاد للإسامية يجب تعظيمه وتعميمه والمبالغة فيه، حيث إنّ الدفاع الوحيد الممكن عن إسرائيل في عالم جديد يعارض كلاً من الإستعمار واللاسامية يكون باستخدام أحدهما في الدفاع عن الآخر.

تمثل الرّد الصهيوني على كل محاولة فلسطينية لإثارة مسألة الإستعمار اليهودي بالإصرار المستمر على أنّ الإستعمار الاستيطاني اليهودي هو السبيل الوحيد لإنهاء معاداة السامية وحماية اليهود، وأنّ أي معارضة للإستعمار اليهودي لفلسطين

بريطانيا.

شرعت الصهيونية بإعادة كتابة النضال الفلسطيني ضد الإستعمار اليهودي على أنه ليس صراعاً ضد الإستعمار بل مشروع معاد للإسامية. وغدت حكاية المفتي أمين